بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 65 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:26\12\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في المقطع الثاني في قوله: ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾.

فرغنا عن إمكانية أن يشتمل القرآن الكريم على كلمة أصلها غير عربي، ولا يضر ذلك بعربية القرآن الكريم. وأما البحث في الصغريات أرى أنه بحث بلا طائل.

على هذا الأساس لابد أن نركز البحث على ما يرتبط بالنكات التفسيرية الواقعة في هذا المقطع.

هناك شيء ملفت للنظر، وهي أن الأساور في القرآن الكريم وردت في أربع آيات، واحدة منها هنا، وتفردت هذه الآية بأن الأساور من فضة. أما في سورة الكهف فالأساور من الذهب، وكذلك في سورة الحج الأساور من ذهب، وفي سورة فاطر الأساور من ذهب.

فهذه الظاهرة لفتت نظر علماء التفسير، تارة يقول أساور من فضة وتارة يقول أساور من ذهب.

الفخر الرازي أجاب عن هذا السؤال بوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: لا يوجد منافاة، في هذه الدنيا بعض الناس يرغبون في الذهب وبعض الناس يرغبون بالفضة، فأذواق الناس متنوعة، فيعطى لهم يوم القيامة على حسب أذواقهم ورغباتهم.

لو كانت الآيات الأربعة وردت في شخص واحد معين وفي عمل محدد، وتنوعت الآيات فله وجه أن يكون هناك منافاة. لكن هذه الآيات لا تتكلم بأجمعها عن شخص واحد، فالتنعم في يوم القيامة في الجنة البعض من فضة وعند البعض من ذهب.

الوجه الثاني: من الممكن أن يكون التصور بجنس الذهب والفضة على وجه التعاقب حتى لو فرضنا أن الشخص والطائفة واحدة، لنفترض أنه في تمام هذه الآيات الأربعة الحديث عن الأبرار، تارة

يتسورون بأساور من فضة وتارة يتسورون بأساور من ذهب. مثل هذه الدنيا فتارة المرأة يعجبها أن تلبس الذهب الأصفر وتارة يعجبها أن تلبس الذهب الأبيض.

الفرق بين هذا الجواب والجواب السابق، أنه في الجواب السابق الطباع مختلفة، البعض يرغب في الفضة فيعطيهم الفضة، البعض يرغب في الذهب فيعطيهم الذهب. وأما في هذا الجواب أن الطائفة الواحدة باعتبارهم مخلدون في الجنة تارة يرتدون ويتحلون بأساور من فضة وتارة يتحلون بأساور من ذهب.

الوجه الثالث وهو أعمق من الوجوه السابقة: إذا تتذكرون في هذه الآية بحثنا أن هؤلاء الذين وصفهم القرآن بأن في آية ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾[1] حيث اختلفوا في المقصد منهم هل هم الأبرار أم هم الولدان المخلدون؟ هذا الجواب الثالث يقول هذه ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ قرينة على أن الحديث عن الولدان المخلدين، الأسياد والأبرار يرتدون ويتحلون بأساور من ذهب كما في الآيات التي أشرت إليها، أما الذين يخدمونهم فمرتبتهم أدنى فيتحلون بأساور من فضة.

هذه وجوه ثلاثة ذكرها الفخر الرازي للجواب عن هذه الشبهة.

إذا الإنسان يريد أن يجيب بأي جواب يكبت الخصم، فالأمر سهل. لكن نريد جواباً يكون عليه قرينة من الآيات، لا نريد مطلق الجواب.

تارة ننظر إلى الواقع الخارجي، وأخرى ننظر إلى القرائن اللفظية في الآيات.

بالنسبة للواقع الخارجي، لا شك أنه عند الناس التحلي بالذهب أرفع من التحلي بالفضة، هذا قديماً وحديثاً. الدينار الذي هو من ذهب يساوي عشر دراهم من الفضة، طبيعة البشر هكذا، ليس شيئاً حادثاً في زماننا، فمن يتزين بالذهب غير من يتزين بالفضة.

ومراراً عرفنا أن القرآن الكريم عندما يصف ما أعدّه من النعم يذكر أشياء موجودة في الدنيا، من الخمر واللبن والنساء والخدم والحشم وأنواع الألبسة وألوانها وما شابه ذلك، وهذا كله مذكور في

[1] الإنسان: 21

القرآن الكريم. لكن كما أشرنا سابقاً أن هذا مجرد لتقريب الفكرة، وإلا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

إذاً القرآن الكريم عندما يريد أن يبين النعم فيبينها على الطريقة المتعارف عند الناس، والمتعارف عندنا أن مرتبة الذهب فوق مرتبة الفضة. هذا بلحاظ الواقع الخارجي.

أما بلحاظ القرائن اللفظية -حتى لا يطول البحث- أقارن ما بين الآية في سورة الإنسان وما بين الآية في سورة فاطر.

فبحسب القرائن اللفظية نرى أن من يتكلم عنهم في سورة فاطر بلحاظ عملهم هم أرفع ممن يتكلم عنهم في سورة الإنسان، وإلا قد يكون من يتكلم عنهم في سورتي فاطر والإنسان هم شخصيات واحدة، هم أهل البيت عليهم السلام. لكن بلحاظ عملهم أي تارة يصدر الإطعام فالإطعام فضيلة له مرتبة.

ولكن تارة يصدر منك إنجاء شخص من الموت، فأنت بلحاظ العمل الثاني أرفع شأناً منك بلحاظ العمل الأول. هذا التفضيل تفضيل بلحاظ العمل.

ما نراه أن الطائفة التي يتكلم عنها القرآن في سورة فاطر بلحاظ عملهم أرفع شأناً، ولذا انظر إلى هذه النكتة المهمة، هذا التدقيق بهذه الطريقة جداً مهم.

في سورة فاطر قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾[2] وفي سورة الحج قال: ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾[3] تارة تقول يحلى ثياباً من ذهب وتارة تقول يحلى من ثياب فضة، فبين التعبيرين يوجد فرق كبير، يحلى ثياباً من فضة فليس عندي طريق أخرى إلا ارتداء هذه الثياب، وتارة يحلى من ثياب من ذهب أي بعض ما أحلى به هو ثياب من ذهب أي عندي فسحة وعندي مجال آخر لثياب أخرى، والذي يكون عنده خيار يكون أرفع شأناً وأرفع مقاماً[4].

هناك مجموعة من القرائن:

---

[2] فاطر: 33

[3] الحج: 23

[4] عدلت العبارة بحسب ما ذكره الأستاذ في شرحه في الدرس رقم 67.

القرينة الأولى: في سورة فاطر، جاء في سياق هذه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[5] يتكلم عن جماعة قاموا بثلاثة أفعال: تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة والإنفاق سراً وعلانية.

وفي سورة الإنسان يتكلم عن جماعة قاموا بالإنفاق ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[6] و﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾[7] كل ذلك يدور في دائرة الإنفاق، فلا شك أن القيام بأفعال ثلاثة من أفعال الخير أعظم شأناً من القيام بفعل واحد.

القرينة الثانية: أنه تبارك وتعالى في سورة فاطر قال: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾[8] وأيضاً في سورة الإنسان ﴿وَجَزاهُم﴾[9] ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾[10]، لكن في سورة فاطر مع زيادة ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[11] توجد توفية للأجر وزيادة، بينما في سورة الإنسان توجد توفية للأجر ولم يذكر الزيادة؛ لأجل أن أعمال أولئك الطائفة أكثر من أعمال هذه الطائفة، بحسب ما ذكر.

لذا في سورة فاطر لم يكتف باللباس من ذهب، بل أضاف لؤلؤاً أيضاً، لم يكتف أنه يحليهم أساور من ذهب بل أيضاً يحليهم اللؤلؤ.

القرينة الثالثة: أنه في سورة الإنسان قال ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ﴿حُلُّوا﴾فعل ماضي مبني للمجهول، بينما في سورة فاطر ﴿يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾[12] وكذلك في سورة الحج.

فيوجد تطابق في الآيات بين سورة الحج وسورة فاطر، ولا شك أن ما في سورة الحج وما في سورة فاطر أكثر توسعة للفرق بين قولنا: يحلى لباساً ويحلم من لباس التي هي للتبعيض، هذا بعض ما يحلون به، بينما في سورة الإنسان ما يحلى به هذا.

---

[5] فاطر: 29
[6] الإنسان: 7
[7] الإنسان: 9
[8] فاطر: 30
[9] الإنسان: 12
[10] الإنسان: 11
[11] فاطر: 30
[12] فاطر: 33

كل هذه الأمور قرائن على أن مقام من ذكر في سورة فاطر بلحاظ أعمالهم أرفع شأناً من مقام من ذكر في سورة الإنسان بلحاظ عملهم.

نحن نعتقد كما في بعض الروايات الإشارة الصريحة إلى ذلك، أنه ما من آية إلا وفيها مدح وإلا على رأس هؤلاء الممدوحين هم أهل البيت عليهم السلام، فلا مانع من أن تكون الطائفة واحدة، لكن هذه يذكرها بلحاظ هذا العمل، وتلك يذكرها بلحاظ أعمال أخرى.

فباعتقادي أن النكتة للفرق أعمق مما ذكره الفخر الرازي.